إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

# بحوث الملتقى الدولي السابع
# المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي
# في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 – 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق لـ 04 و05 جوان 2022

# إقليم وادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري، المجال والساكنة 1900 ـ 1962م

# *Oued Souf Region, South East Algeria, Geography, Population 1900-1962 AD*

**أ.د/ الجباري عثماني**

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية،

جامعة الوادي (الجزائر)

Otmani0037@gmail.com

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

**ملخص:** إقليم وادي سوف متميز بخصائصه الجغرافية والبشرية والعمرانية، وهو ضمن الأقاليم الصحراوية التي تدخل ضمن حيز الجنوب الشرقي الجزائري، وصفه أحد الكتاب الفرنسيين بالجمهورية الصغيرة، بحيث يحتل موقعا جيوسياسيا متفردا؛ جعله قبل الغزو الفرنسي، محط أنظار بايات تونس المجاورة شرقا، وسلاطين بني جلاب غربا، وأجواد مشايخ العرب الزيبانية شاملا. ونهدف من خلال هذه المداخلة أن نجلي للقارئ الكريم طوبونيميا المُسمى، والمجال الجغرافي للإقليم، وأثر البيئة الصحراوية القاسية على ساكنة المنطقة. كما نتعرف على النسيج الاجتماعي والتركيبة القبلية لمجتمع الوادي.

**الكلمات المفتاحية**: الوادي؛ سوف؛ السكان؛ الاستعمار؛ الجنوب الشرقي.

**Abstract**:

Oued Souf is characterized by its geographical and human characteristics, and is among the desert regions that enter the south-east of Algeria, described by one French writer as a small republic, occupying a unique geopolitical position, which made it before the French invasion; Through this contribution, we aim to identify the origin of the territory's designation, the geographical space of the territory and the impact of the harsh desert environment on the population of the region. We learn about the social fabric and tribal composition of the valley community.

**Keywords:** El-Oued; Souf; The population; Colonialism; South-east.

## 1. مقدمة

إن دراسة جغرافية المكان باعتباره سكنا للإنسان لهي بالأهمية بمكان؛ لهذا اهتم جغرافيو المدن والقرى والأرياف بدراسة الموقع والموضع؛ لما لهما من آثار في التطور الفني والاجتماعي والاقتصادي على حياة الساكنة، حيث ظهرت هناك علاقة كبيرة بين وظيفة

المدينة أو القرية وبين موقعها وموضعها. ويُعرّف الموضع، على أنه دراسة الظواهر الطبيعية كالتضاريس ودرجة انحدار الأرض وتركيبها الجيولوجي والمياه ومصادرها؛ ومن ثم الطقس والمناخ للأرض التي يقوم عليها الاستقرار البشري. وأما الموقع، فيقصد به دراسة مساحة أوسع من ذلك، تكشف عن مراكز المدينة أو الإقليم، وعن علاقاتهما بمساحات أوسع تحيط بهما، وبعبارة أخرى يشمل الموقع على جميع الارتباطات المكانية بين المدينة والمناطق الأخرى[1]. وانطلاقا من أن الإنسان يتفاعل مع بيئته التي تحيط به، خصصنا هذه المداخلة لدراسة ولو بصورة موجزة المظاهر الجغرافية المميزة لمنطقة وادي سوف، وذلك بتحديد موضعها وموقعها، وما تأثير الجغرافيا على حياة السوفي في أوسع صورها، والتركيبة السكانية المشكلة للنسيج الاجتماعي للإقليم.

## 2. إقليم وادي سوف، الموقع والتسمية.

### 2،1. طوبونيميا وادي سوف:

إقليم سوف متميز بخصائصه الجغرافية والبشرية والعمرانية، وهو ضمن الأقاليم الصحراوية الجزائرية، يحتل موقعا جيوسياسيا متفردا؛ جعله محط أنظار بايات تونس المجاورة، وسلاطين بني جلاب الطامعة، وأجواد مشايخ العرب الزيبانية المتنافرة. وقبل تحديد موقع هذه الجمهورية الصغيرة كما وصفها "دوماس"[2]؛ يجدر بنا أن نبرز ونحدد معنى تسميتة، فوادي سوف جمع بين كلمتي وادي وسوف.

فالوادي، هو وادي الماء الذي كان يجري قديما في شمال شرق سوف، يسميه العدواني النيل، ويقول: والنيل يجري عليها[3]. ويعتقد أن منبعه الأول هو جبل مجور بالقرب من نقرين، وله عدة روافد، وفروع منها: عيون النازية على مسافة 60 كم شمال شرقي الوادي وسمي هذا القسم وادي النازية، ووادي الجردانية[4]، يجتاز الإقليم من الشمال إلى الجنوب، وظل يجري حتى مجيء العرب إلى المنطقة في القرن 15م، وقد اتخذ الفرع الثاني طريقا آخر، وانقطع الوادي الأول بفساد عيون النازية من كثرة الرمال[5]. ولكن الرحالة "لارجو" يحدد

---

1- مصطفى عباس الموسوي، **العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية**، دار الرشيد للنشر والتوزيع، بغداد 1982م، ص. 201.

2- Lieutenant-Colonel Daumas, **Le Sahara algérien, Etudes Géographiques, Statistiques et Historiques**, Langlois et leclerco, Paris 1945, p. 190.

3- محمد العدواني، **تاريخ العدواني**، تح. أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر 2011م، ص. 134.

4- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ وسوف**، مخ. ج. 1، لدينا نسخة منه، ص ص. 40-41؛ علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن التاسع عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر2001م، ص. 7.

5- ينظر: إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ**...، مخ. ج. 1، ص ص. 40-41.

اتجاها آخر للوادي، حيث يأتي إلى سوف من الجنوب، ويقول: هذا الوادي ما هو سوى الجزء الأسفل من النهر القديم تريتون، ويأخذ مصدره في مضيق غرامانتيك (غات)، ويقطع بحيرة النوبة (أو ربما سبخة غدامس) ويصب في بحيرة تريتون[6]. والتريتون هو نهر صحراوي قديم ذكره الجغرافيون القدماء، وأن الفاتحين العرب الأوائل عرفوه تحت الاسم المطلق للنيل.

وبينما يُرجع البعض الآخر التسمية إلى أصلها العربي، حيث أن عرب طرود حينما أتت إلى هذه النواحي، قالت: "نسكن تلك السيوف"، وهي الأحقاف أي الكثبان الرملية التي حُرفُها حاد، والسُوفة والسافة؛ تعني الأرض بين الرمل والجلد، والسائفة جمعها سوائف؛ وهي الرمل الدقيقة الناعمة؛ والسوافة يسمون الرمل الدقيقة بالسافي؛ ومن هنا اشتق اسم سوف؛ لكونها أرض رملية[7]. وقيل بأن أهل بلدة سوف البصرة قرب مدينة حلب الشام، حين دخلت العرب إفريقية دخلوها معهم، فلعلهم سكنوا هذه الأرض فسميت بهم. وهناك قول يفيد، أن، هناك فرقة من الملثمين البرابرة تسمى بمسوفة أو ماسوفة؛ وهم قبائل صنهاجة الجنوب أو الطوارق، مروا بالمنطقة أو سكنوها مدة؛ فسميت باسمهم. وهناك من يرجع أصل التسمية إلى لبس "الصوف"، فأهلها منذ القديم كانوا يلبسون الصوف من أغنامهم؛ لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم. وقيل أنها كانت موطنا لرجل صاحب علم وحكمة يدعى "ذا السوف" فنسب إليه، والسوف معناها الحكمة والعلم؛ فتسمت هذه الأرض به[8].

وبما أن المنطقة سكنها البربر، واستقروا بها ردحا من الزمن، فقد تكون التسمية أطلقت على الإقليم من قبلهم؛ لإن كلمة سوف مشتقة من الاسم الأمازيغي "أسوف" وبالقبائلية العصرية "أسيف"؛ وتعني الأرض المنخفضة على ضفاف الوادي. وفي علم اللسانيات ما يشير، بأن كلمة الوادي بالعربية ترادفها بالأمازيغية كلمة سوف[9]. وقد أدغمت كلمة الوادي مع كلمة سوف وأصبحت وادي سوف، وأول من ذكره بهذا الجمع هو الرحالة الأغواطي في حدود 1829م[10]، وأصبح المصطلح هو الشائع في النصف الثاني من القرن 19م.

---

6- Victor Largeau, **Le Sahara Algérien, les déserts de l'erg**, Librairie Hachette, Paris 1881, p. 329.

7- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية** 1837-1934، دار هومة، الجزائر 2005م، ص. 144.

8- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ..**، مخ. ج. 1، ص. 10؛ محمد بن عمارة، **العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية (وادي سوف نموذجا)**، مكتبة اقرأ، قسنطينة 2010، ص. 17.

9- Ahmed Najah, **Le Souf des Oasis**, La maison des livres, Alger 1971, p. 32.

10- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج. 2، دار المعرفة، الجزائر 2007م، ص. 206.

مع أن الرحالة Louis Piesse يفضل تسمية "وادي إزوف" (oued Izouf)[11]، والذي يعني النهر الرقراق الذي كان يجري في المنطقة[12]. وهذا ما يذهب إليه الرحالة "دوفيرييه" حيث يقول، أن: وادي سوف كان قديما نهرا حقيقيا في بلد ليس به رمل[13].

### 2،2. موقع الإقليم:

تقع منطقة سوف في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري، ما بين خطي عرض 31° و 34° شمالا، وما بين خطي طول 6° و8° شرق خط غرينيتش تقريبًا، ويحدها من الشمال جبال الأوراس النمامشة الممتدة على خط نقرين -الزاب الشرقي، ومن الشرق الحدود الجزائرية -التونسية، ومن الجنوب الصحراء الليبية -الجزائرية، ومن الغرب واحات وادي ريغ. وبهذا فهي إذن تقع في منطقة منعزلة على شكل مثلث بين الأقطار الثلاث: الجزائر، تونس، ليبيا. وتقدر المساحة الإجمالية للإقليم بـ 82800 كم$^2$، وبأبعاد تمتد من الحدّ التونسي شرقا إلى واحات وادي ريغ غربا على مسافة تقدر بـ 160كم، ومن استطيل-الحمراية شمالا إلى غدامس جنوبا على مسافة 600كم تقريبا[14].

## 3. عروش وقبائل وادي سوف

### 3، 1. آل طرد (طرود):

قَدِم عرب طرود من القاهرة التي غادروها بعد أن تمردوا عن الحاكم، ووصلوا حتى "جريقة" في الجريد التونسي؛ لكن سلطان تونس طردهم بعد الاضطرابات التي أحدثوها، اتخذوا اسم طرود وهم في طريقهم إلى سوف حينما التقوا بشيخ له الاسم نفسه، قَبِل بأن يكون قائدهم إذا هم اتخذوا اسم طرود. وكانت لهم حروب كثيرة مع عدوان قبل أن يستقروا في سوف[15]. وقد بيّن العدواني كيفية امتلاك قبيلة طرود لأرض سوف، وحروبهم مع عدوان والصلح الذي تم بين الطرفين بعد ذلك. وقد نزلت قبيلة طرود في الوادي، وكان وقت دخولهم إلى الوادي عام 800هـ/1398م، وانتشرت طرود قطعًا قطعًا من الوادي إلى سندروس ووادي العلندة ونواحي أخرى. وتشير المصادر التاريخية أن طرود حينما نزلوا بسوف، قد تنازعوا مع زناتة تكسبت بسبب قلّة الماء[16]، وكانت في النهاية الغلبة لطرود. وقد

---

11- Louis Piesse, **Itinéraire de Lalgérie de la Tunisie et de Tanger**, Librairie Hachette, Paris 1882, 432.

12- André Voisin, **Le Souf, Monographie**, EL-walid, EL-oued 2004, p. 15.

13- Henri Duveyrier, **Journal de Route, Sahara Algerinet et Tunisien**, Publié et Annote, CH. Maunoir et H. Shirmer, Librairie Maritime et Coloniale, Paris 1905, p. 14.

14- André Voisin, op. cit. p. 15.

15- Henri Duveyrier, op. cit. p. 15.

16- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ**...، مط. ص ص. 161-162.

توزعوا إلى عرشين كبيرين عمّرا مدينة الوادي وأكثر قراها، وهما:

### 1.3.1. عرش الأعشاش:

نسبة إلى رجل اسمه "العش بن عمر بن سليمان بن محمد اليربوعي"، سكن الوادي فارا من وطن نفزاوة في القرن 16م، وقد التقى بالشيخ سيدي المسعود؛ فأضافه وحسّن معه الضيافة، بعدما طرده غنام كما تقدم، وطلب العش من يدعو له، فقال الشيخ: اللهم اجعل لهذا الرجل في هذه القرية حظا عظيما، واجعل ساكن هذه القرية يسمى باسم هذا إلى يوم القيامة[17]. ويضم العرش، قبيلة الأعشاش، وتدخل تحت كنفها عدة عمائر: عميرة الفقهة، وأولاد خليفة، وأولاد حميدة، وأولاد عيسى، والجبيرات، والكساسبة، والعيايدة، والحليلات، ومصغونة. وأما قبيلة أولاد أحمد التي تنتسب إلى العرش المذكور، فينسبون إلى "حمد بن عمر بن حنظلة القرشي"[18]. وهم أول من قدموا إلى وادي سوف من العرب، وينحدرون من قريش، غادروا سوريا في زمن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتضم سبعة عمائر، وهي: عميرة السوفية، وأولاد مياسة، وأولاد جاء بالله، وأولاد عياد، والامهات، والعواشير[19].

والعميرة السابعة هي الشوامس، وهي قبيلة عربية خالصة موطنها الأصلي "السنينة" على الحدود الشمالية الغربية لسلطنة عمان بالجزيرة العربية، ولها جد شريف اسمه "بوجواحيف" أحد الأولياء في منطقة نفزاوة، لا زال قبره يزار حتى الآن بتلك النواحي. وقد كانت هذه القبيلة عبارة عن أسرة صغيرة، الأب بوجواحيف والولدان: خصومة وثامر، والبنت هي هنية، ثم كبرت العائلة وتفرعت إلى عدة فروع كلهم ينتسبون إلى ثلاث أصول وهم: أولاد هنية، الخصايمية، والثوامر. وسبب تلقيب الفرقة بالشوامس؛ يرجع لخلاف وقع بينها وقبيلة مجاورة جهة نفزاوة، واستغلت الأخيرة رحيل الفرقة المذكورة للتبضع، وأغارت على من بقي من الشوامس قتلا وضربا، وفر الناجون متجهين نحو مغرب الشمس، وعندما عادت القافلة إلى أهلهم لم يجدوهم، فسألوا عنهم فقيل لهم شمّسوا[20]، غير أن العوامر يذكر أن سبب التسمية يعود إلى شمّاس بن بوجواحيف النفزاوي.

في حين فرقة أولاد جامع التي اشتق اسمها من صاحب ولاية طرابلس "عبد الله بن إبراهيم بن جامع" في العام 1206م[21]، كانت منازلهم بناحية طرابلس ثم انتقلوا منها إلى

---

17- محمد العدواني، المصدر السابق، ص. 115،122.

18- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ..**، مخ. ج. 2، ص. 64.

19- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ..**، مخ. ج. 1، ص- ص. 61-63.

20- مبروك بن محمد الشامسي، **مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي**، تق. تع. علي غنابزية، مؤسسة إيموبال المطبعة العصرية، الوادي 2012م، ص ص. 16-20.

21- إتوري روسي، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة** 1911م، تر. وتق. خليفة محمد التليسي، الدار

الناحية الجنوبية من تونس ومنها إلى أرض سوف، وعددهم ليس بالكثير بالوادي كما يقول صاحب الصروف. وأما عميرة الفرجان، فهم من بني عَطِيَّة، واحدهم عطوي (العُطَيَّات) أي من أولاد "عطوة بن عطية بن كمون بن فرج بن توبة عطوة" نزحت من الحجاز وسكنت في مصر، ثم هاجر من أفرادها الكثير إلى ليبيا وتونس والجزائر وسكنوا هذه الديار. وهناك من يصنفهم من المرابطين تشير المصادر إلى إعفائهم من الضرائب في عهد الأتراك بتونس، يصفهم أحد الرحالة المغاربة عند مروره من سرت إلى الحج في بداية القرن 18م، وقال في شأنهم: مررنا بالفرجان وأخلاقهم أزهى من اللؤلؤ[22]. والمرجان وقد تأخرت في الدخول إلى سوف عن باقي القبائل، ولعلهم نزحوا إلى المنطقة سنة 1789م؛ حيث أتى كثير من العرب إلى الوادي ومعظمهم من الفرجان، وهم عدة أفخاذ، ومنهم: الخوازم والاهليلات والطوفقة وأولاد بالحسن[23].

وقبيلة الربايع التميمية، فيعود اسمها إلى ربيعة التميمي، ويرجع ربايع الوادي في أصلهم المغربي إلى الشيخ "أبو بكر التوي"؛ وهو رجل صالح كان يعلم الأطفال القرآن الكريم ويكُنى بالتوي، وقبره معروف في بلقردان بمدنين التونسية، وكان هذا الأخير ينتمي إلى قبائل الربايع التي هاجرت إلى شمال افريقيا مع الفتوحات الإسلامية، والتي استقرت أول مرة في بلقردان، وبعد مدة وقع خلاف بينها وبين الأمير شبل حاكم مدينة قابس؛ حيث هاجرت بعض من أفخاذ هذه القبيلة إلى الصحراء ناحية تقرت، واستقرت بعد ذلك في وادي سوف؛ لأنها منطقة رعوية، ومعروف عن الربايع أنهم أهل إبل وأغنام يمتهنون الرعاية وهي مصدر رزقهم. ويُرجع العوامر نزوحهم إلى سوف في نحو 1750م، ومنهم حوالي 14 عميرة[24] تتميز بالعلامات التي وُسمت بها إبلها[25]، وينقسمون حسب جهة سكناهم في الوادي إلى قسمين: ربايع الشمال وهم: العلاونة والدوايمة والمصابيح وأولاد عيسى وأولاد حجاج وأولاد زقزاو والزيود والمصابيح، والقسم الثاني ربايع الجنوب وهم: العتايرة والفوايز والحوامد والمعاتيق وأولاد بلول والرقيعات والشواشين[26].

### 23،1. عرش المصاعبة:

ينسب هذا العرش إلى "مصعب بن شباط"، ويقال لهم أيضا المصابعة أو الأصابعة؛

---

العربية للكتاب، (د. م. ط)، ط. 2، 1991م، ص. 112.

22- محمد بوزرارة، **التخوم التونسية الليبية عبر التاريخ، نجع الذهبيات وجيرانه**، مطبعة سعيدان بسوسة، تونس 2014م، ص ص. 82-83.

23- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ**..، مخ. ج. 2، ص. 38، 74.

24- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ**..، مخ. ج. 2، ص. 70.

25- André voisin, op. cit. p. 169.

26- Ahmed Nadjah, op. cit. p. 58.

نسبة إلى رجل ذي أصبع زائدة، ويضم هذا العرش أربع قبائل أو عمائر وهي:

- **الشبابطة:** وينتسبون إلى شباط المتقدم ذكره، دخلوا سوف عقب أولاد أحمد، وفيهم بعض أهل تكسبت القديمة من زناته، وتنقسم العميرة إلى اثنتي عشرة بطن، ومنها: الشراردة، والشوايحة، والأبالي، والأمامنة، والستاتة، وأولاد جديد، والجلايصة، والسواكرية، والزبدة، والمساعية، والاعليات، والعيايدة[27].

- **القرافين:** وهم بطن من أولاد قرفة بن اثبج بن أبي ربيعة، مضاربهم بين طرابلس وقابس من بلاد المغرب، نزحوا من تونس ودخلوا إلى الجزائر من جهة وانزة ومنها إلى تبسة ثم اتجهوا نحو إلى زريبة الوادي، ودخلوا سوف من جهة المقرن. وتنقسم العميرة إلى تسع أفخاذ منها الأصلي والآخر ملحق. ومن ذلك: القشاشطة، والشراعبة، وأولاد نصر، وأولاد زايد، والرضوين، والحمايدة - وهؤلاء أصلهم من محاميد طرابلس- والجبابنة، ومصغونة..[28].

- **العزازلة:** ينتسبون إلى العزال؛ الذي جاء من المغرب ومعه ابنيه علي وبالقاسم، وكل واحد منهما له ثلاثة أبناء، فمن الأول: عباس، الذي نسبت له فخذ العبابسة. وطليبة نسبت له الطلايبة. وبشَيّر البشايرة. ومن الثاني: عزيز ونسب له فخذ تعرف بأولاد عزيز، وحمد وينسب له أولاد حميد. وأجدادهم كل من: لعجال وحمد وعزيز وعباس واطليبة والبشير وعلي مقبورون بمقام واحد بالقرب من ضواي روحة، ويعرفون في سوف بالعزازلة السبعة[29]. وهناك رواية أخرى تقول: أن سبب تسميتهم بالعزازلة؛ لأنهم اعتزلوا بعضا من فرقهم وخاصة أولاد بالقاسم، وخرجوا على إثرها وسكنوا الصحاري الواقعة بين تقرت وورقلة، ثم رجعوا إلى المنطقة في حدود 1837م.

### 3.2. آل عدوان (أولاد سعود):

ينتمي آل عدوان إلى العرق العربي الأصيل، وأما عن كيفية استيطانهم للمنطقة، فتقول الروايات، أنه لما كثُر الوافدون على أرض وادي سوف من الجريد والزاب ووادي ريغ وورقلة، اجتمع رأي جماعة من بربر زناتة على بناء قرية بالجردانية عند رأس الماء (عيون النازية)، فأكثروا فيها الزرع والضرع والأشجار، وشاع أمرها في تلك الجهات وتسابق إليها الناس من كل فج؛ لحسن مائها وهوائها وكثرة خيراتها وأمنها. ومن ذلك شعب عدوان الذين كانوا بنواحي الكاف والقيروان، ولما ضاقت بهم المجالات لكثرة عددهم، انتقل بعضهم يجول في الأرض، حتى وصلوا الجردانية فأعجبتهم فسكنوها في حدود عام 600هـ/1204م، ثم

---

27- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ**..، مخ. ج. 2، ص ص. 64-66.

28- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ**..، مخ. ج. 2، ص ص. 67-68.

29- نفسه، ص ص. 68-69.

نزحوا بعد ذلك بسنوات إلى أرض سوف[30].

لقد كانت قصور الزفْم عامرة بهم، ثم اختلطوا مع قبائل أخرى وارتبطوا مع بعض القرى المجاورة لهم. وقد تحول اسمهم في القرن التاسع الهجري إلى "أولاد سعود"؛ ويعود سبب هذه التسمية إلى الخلاف الذي وقع بين أهل تغزوت وأحمد الشابي التونسي، الذي وصل إلى حد العداوة والاقتتال، فلما طلبوا المشورة من رجل شريف من أهل تغزوت يدعى "الشيخ أسعود"، أمرهم بتوحيد كلمتهم وتسليم قيادتهم إليه قائلاً: "أنا سيدكم وأنتم أولادي كما قال طرد لكافة القبائل، ولا تسموا أحدا إلا باسم أولاد أسعود، فشاع الخبر في كافة القبائل وسارت الركبان بهذا الاسم. وانضم إلى أولاد أسعود سكان بعض القرى الأخرى مثل: الزفْم، وكونيين، وورماس، وسيدي عون، وتغزوت.

### 3.3. سكان قمار والقرى الأخرى:

الساكنة التي اتخذت من قمار موطنا لها، تميزت عن غيرها في الثقافة والتمدن، وهي خليط من العرشين المذكورين (طرود وعدوان)، وتتألف من عدة عمائر لكل واحدة منها رئيسا[31]، وهي كالآتي: عميرة أولاد عبد القادر، عميرة أولاد احميد، أولاد بوعافية، أولاد اهويمل.

وأما عن قرية الدبيلة؛ فيرجع أصول سكانها إلى مؤسسها الأول في حدود أواخر القرن 17م، وهو الإدريسي الحسني الشريف، الشيخ سي علي بن اعمر بن خزان بن عبد الجبار بن عبد الرزاق بن محمد بن عبد العزيز بن عمران[32]، وقد جاء من المغرب الى جنوب تونس، وهناك في نفطة تزوج بابنة الشيخ ضيف الله بن اسعيّد الشريف النفطي، ثم انتقل إلى سوف وأسّس وعمَّر بلدتي الدبيلة وحاسي خليفة، ولم يعقب إلا ابنا واحدا يسمى الشيخ عمار؛ وهو المدفون مع والده في وسط الضريح بالدبيلة الشرقية، وبنتا تسمى مبروكة وتكنى بالزائلة؛ لكونها مدروشة ولم تتزوج وتوفيت مسنة. وأنجب عمار المذكور ستة أولاد[33]: عبد الملك وعيسى وخليفة، من زوجه المسماة الجازية. وأحمد وبالقاسم وعلي، من زوجه "جمعة"، وقد جاء من نسلهم العمائر الساكنة في بلدة الدبيلة، وبعض ساكنة حاسي خليفة، وهم: أولاد خزان، وأولاد غنايم، وأولاد خليفة، وأولاد امليك، وأولاد نصيب، وأولاد علي وغيرهم[34].

---

30- نفسه، ص ص. 145-146.

31- Henri Duveyrier, op. cit. p. 14.

32- الحاج محمد بن الحاج الميلود بن خزان، **تاريخ أبناء سيدي علي بن خزان**، مخ. بحوزة كمال خزان، الدبيلة، ص. 7.

33- وثلاث بنات وهن: عيشة وفاطمة وخضرة. محمد الأزهر النفطي، المرجع السابق، ص. 7.

34- للمزيد حول آل خزان، ينظر: محمد الأزهر النفطي، المرجع السابق، ص ص. 7-11.

وأما سكان بلدة البهيمة من غير الأشراف، فهم خليط من عمائر وأفخاذ طرود وعدوان، وأهلها خمس عمائر: العيايدة، والعيايطة، والغوالين، والسواري، والعميرة الخامسة الوهاهبة[35]. وقد تزينت البلدة بأشرافها الذين ينتسبون إلى جدهم، سيدي محمد الشريف بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن العباس[36]، ونتيجة النسب الشريف للعائلة الأخيرة، حُضيت بالتكريم والتبجيل من حكام الجزائر وتونس في العهد العثماني؛ وهو ما دلت عليه أمرية حمودة باشا[37] التونسي إلى عماله في شأن احترام وإكرام أولاد "الفقيه الشريف محمد بن السيد أحمد" من أشراف نواحي سوف... بحيث لا يطرقهم أحد بمضرة، ولا تنتهك حرمتهم، ولا يهضم حقهم، ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم؛ إذا أتو لمكان من عمالتنا وحلوا بمحل من عملنا. وقد جدد خلفه "حسين باي" ما جاء في رسالة أبيه، من احترام وتكريم للعائلة، وأكد على معاقبة من قصدهم بمضرة[38].

وأما سكان القرى والمداشر الباقية وهي: وادي العلندة، والرقيبة، والطريفاوي، وحاسي خليفة، أميه ونسة، سحبان، المقرن، الرقيبة، وغيرهم، من التجمعات السكانية في سوف؛ تنتمي في الأغلب الأعم إلى شعب طرود، وهذا بالإضافة إلى أقليات نزحت إلى المنطقة وسكنتها، ومنها طائفة اليهود، الذين يرجع تواجدهم في الوادي حسب العدواني إلى بداية الفتح الإسلامي[39].

## 4. المستدمر الفرنسي يغزو أرض سوف

لم يخضع إقليم سوف للحكم المركزي في عهد الجزائر العثمانية (1518-1830م) إلاّ في بعض الفترات الأخيرة منه، ذلك أن أغلب المناطق الصحراوية في هذا العهد تكاد تكون في عزلة تامة عن الأتراك العثمانيين بالجزائر، غير أنّها أصبحت تابعة اسميًا وصوريًا لنفوذ شيخ العرب الممثل لباي قسنطينة في الصحراء من جهة، وكذلك ممثل سلاطين بني جلاب بتقرت من جهة أخرى، وهذا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر الميلادي[40].

وقد بدأت السلطات الفرنسية تفكر في احتلال إقليم سوف منذ الأيام الأولى من سقوط مدينة قسنطينة في خريف عام 1837م، حيث برهنت الأحداث على أن سوف –

35- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ**...، مخ. ج. 2، ص. 78-79.

36- الجباري عثماني، **المجتمع والإدارة المحلية في وادي سوف (دراسة وثقية)**، سامي للطباعة، الوادي 2022م، ص ص. 87-88.

37- أحد بايات الأسرة الحسينية، حكم تونس من سنة 1782-1814م.

38- الجباري عثماني، المرجع السابق، ص. 88.

39- محمد العدواني، المرجع السابق، ص. 79.

40- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص ص. 165-166.

وهي جزء من ما يُعرف في ذلك الوقت بـ "صحراء قسنطينة" - هي بمثابة قاعدة خلفية للمجاهدين وزعماء الثورات بالجزائر، وميدانا ملائما للثائرين، وخاصة الشريف "محمد بن عبد الله". وإن احتلال إقليم سوف ما هي إلا حلقة من حلقات التوسع الاستعماري، لا سيما وأن هذه المنطقة كانت تحتل مكانة هامة، وذات موقع استراتيجي متميز، لذا تعددت دوافع الحملة الفرنسية على الصحراء ومنها الوادي من سياسية، واقتصادية وإستراتيجية[41].

وقد مهدت تلك البعثات الاستكشافية الطريق للقوات الفرنسية لاحتلال سوف، زد على ذلك الوضعية السياسية والاجتماعية المتدهورة بالمنطقة؛ وتأثر سوف بأحداث صراع الإخوة الأعداء حول كرسي سلطنة بني جلاب، بظهور منافس للسلطان الصغير عبد القادر، وهو، سلمان بن علي الكبير الذي تلقى الدعم من تماسين، وآزره الشريف محمد بن عبد الله، وأصبح سلطانا على تقرت بعد أن أزاح سابقه، وسلك طريقا آخر في علاقته مع فرنسا عكس أسلافه من السلاطين، فقد اختار سلمان أسلوب المقاومة[42] والمراوغة؛ لذلك أرسل الفرنسيون أحمد باي بن شنوف إلى سوف كقائد عليها، لإبعاد السوافة عن سلمان، لكنه فشل في مهمته. لهذا أمر الوالي العام في ماي 1853م بحصار اقتصادي على وادي ريغ وسوف؛ فأعلنت قريتا سوف تغزوت وكوينين خضوعهما للفرنسيين بدفع الضرائب المعهودة عليهما؛ لهذا سمح لهما بالدخول إلى أسواق بسكرة، ولما عرض الوادي ومن لف حوله نفس العرض قوبل بالرفض وتعطلت قوافلهم التجارية. وفي مارس 1854م قام المهاجمون المسلحون من بسكرة برخصة من الفرنسيين، وهاجموا عدة قطعان من الماشية تابعة لفرقة الربايع من طرود؛ بذلك جروا الوادي إلى صف سلمان[43].

وفي خريف عام 1854م، راجت أخبار داخل الأوساط الاستعمارية ببسكرة مفادها أن القوات الفرنسية تتأهب للقيام بعمليات عسكرية هائلة، للهجوم على إقليمي ريغ وسوف وغزوهما، موطنا المشاغبين حسب زعمهم. وبعد التأكد من عزم الفرنسيين على الغزو، أخذ المقاومون في الاستعدادات والمساعي الحثيثة من أجل حماية البلاد من العدو الذي يتربص بهم الدوائر، واستنفر سلمان السكان وراسل سكان الوادي يحثهم على الجهاد، ويطلب منهم أن يكثروا من البارود، ويأمروا تجارهم أن يجلبوا المكاحل (البنادق)؛ لأنه في أمس الحاجة لها[44]. وقد آتت هذه الرسالة أكلها، وفزع جمّ غفير من أهل الوادي إلى تقرت قُدّر عددهم

---

41- الجباري عثماني، المرجع السابق، ص. 118.

42- معاذ عمراني، **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين** 19و20 **الميلاديين**، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، أفريل 2003، ص. 65.

43- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء**...، ج. 5، ص. 16.

44- الجباري عثماني، المرجع السابق، ص. 124.

بحوالي 1500 مجاهد، ففرح سلمان بمقدمهم وأكرمهم[45]. وبجيش النجدة السوفي وقوات الثائر الشريف محمد بن عبد الله، وقوات تقرت بقيادة سلمان، بلغ عدد المجاهدين ما بين 2400 إلى 2800، ألفين من المشاة والبقية من الخيالة. وأما القوات الفرنسية فقد بلغت نحو 2650 مقاتل من مختلف القوى الرسمية ولا سيما أعوان الاستعمار من الأهالي المجندين ضمن فرق الصبايحية والقوم، تحت قيادة ضباط متمرسين على رأسهم العقيد ديفو ومارمييه وروز وغيرهم[46].

التقى الجمعان على مقربة من بلدة المقارين - تبعد على تقرت حوالي 10كم – في التاريخ 29 نوفمبر 1854م، حمى الوطيس وتعالت الأصوات بالتكبير من المجاهدين، واشتد القتال بين الطرفين، جيش منظم وبأسلحة متطورة في مقابل قوات شعبية وبأسلحة تقليدية ودون خطة منظمة، رغم ذلك انهزم الجيش الفرنسي في أول الأمر، لكن القوات الجديدة التي تعزّز بها العدو رجّحت الكفة لصالحه، وانهزم جيش المقاومة وقُتل الكثير من المجاهدين بلغ عددهم 500 شهيد[47]، وما نجى من المعركة إلا النزر القليل. وتراجع سلمان إلى تقرت ومنها إلى تماسين، ثم انتقل رفقة الشريف محمد بن عبد الله إلى الوادي ومكثا فيه مدة، ومنه قصدا تونس والتحقا بالثائر أحمد بن الحاج بنفزاوة[48].

ومهما كان الحال فإنه في 2 ديسمبر 1854م دخل القائد مارمي تقرت وقد سبقه إليها الملازمان الأولان روز Rose وديان فيل Dyanville رفقة سرية من الصبايحية، وفي 5 ديسمبر وصل العقيد ديفو إلى تقرت على رأس الطوابير التي تم جمعها من باتنة والاغواط وبوسعادة لتنضم إلى بقية الفرق العسكرية المتواجدة بعين المكان معلنا باسم فرنسا احتلال عاصمة الأسرة الجلابية تقرت[49]. ومن أجل معاقبة أهل الوادي الذين آوو سلمان والشريف وناصروهما؛ ترك العقيد ديفو بعض قواته بالمدينة للمحافظة على الأمن، وقاد بقية القوات واتجه نحو وادي سوف في 10 ديسمبر 1854م، وكان مضطرا لسلوك طريق رملي صعب المراس، ومتعدد المسالك، ورغم أن المسافة لا تتجاوز 85 كم تقريبا، فإن القوات الفرنسية استغرقت لقطعها ثلاثة أيام، متخذة طريق الطيبات القبلية[50].

---

45- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ**...، مخ. ج. 2، ص. 51.

46- معاذ عمراني، المرجع السابق، ص ص. 69-71.

47- ينظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية(*)**...، ج. 1، ص ص. 360-361؛ معاذ عمراني، المرجع السابق، ص ص. 70-73.

48- الجباري عثماني، المرجع السابق، ص. 125.

49- André Voisin, op. cit. p. 74.

50- C. Cauvet, **Notes sur le Souf et les Souafa**, Bulletin de la société de géographie d'Alger, 1934, p. 49.

وصلت الطوابير الفرنسية إلى سوف، ودخلت إلى أول بلدة في سوف وهي تغزوت في 13 ديسمبر 1854م، وقد اختار القائد الفرنسي الدخول إليها نظرا لمعرفته المسبقة بموقف السكان المعادي لخصوم الفرنسيين في تقرت، حيث قوبلت القوات الفرنسية باطمئنان وترحاب[51]، وقد أكد علي بن أحمد الزبيدي ذلك بقوله: "أنه لما أتى سعادة الجنرال ديزفوا أول مرة إلى سوف، وخدمت له(كذا) جميع أناس سوف بالهناء والعافية"[52]، استراحت القوات الفرنسية بعض الوقت، ثم توجهت نحو بلدة كوينين[53]، ومنها انتقلت إلى عاصمة سوف، مدينة الوادي في حدود 14 ديسمبر 1854م. واللافت أن وفدا من أعيان الوادي وخوفا من الانتقام؛ أتوا للمحلة عندما وصلت بالقرب من ورماس، وأظهروا التسليم والخضوع التام ووعدوا بتطبيق كل الشروط الفرنسية[54].

وهكذا أُخضع سكان وادي سوف للآلة الفرنسية القمعية، وأصبح أهلها تحت رحمة الغاصب المحتل، وأصبح السوافة يرزح في ظلمتين: ظلمة المستعمر المستبد، وظلمة الجهل؛ مما جعل ثلة من أبناء المنطقة يسعون لكسر ظلمة وغياهب الجهالة، بشدّ الرّحّال إلى الزوايا والجوامع المعمورة بالعلم والمعرفة، وهؤلاء أصبحوا فيما بعد شموعا تضيء نورا وتوقد أملا، للصغار والكبار بالمنطقة.

## 5. خاتمة

وقصارى القول؛ فإن وادي سوف يشكل إحدى المكونات الجغرافية للأقاليم الصحراوية الجزائرية، احتل موقعا فريدا جعله متميزا بخصائصه المكانية والبشرية، فهو يقع في مفترق طرق بين الشمال والجنوب والغرب والشرق، لذا يمكن تصنيفه ضمن الأقاليم التي نشأت وتطورت مدنها وحواضرها ذاتيا؛ مما حدا بالبعض بوصفه بالجمهورية الصغيرة، والتي كانت محطّ أنظار واهتمام الجوار قبل الغزو الفرنسي للمنطقة. وفي مطلع الخمسينيات من القرن التاسع عشر دخلت المنطقة في حسابات المستعمر الفرنسي في إطار التوسع في أقاصي الجنوب الجزائري، ومراقبة الوضع عن كثب في التخوم الشرقية، لتدخل بعد ذلك ضمن الأقاليم المستعمرة في الجنوب الشرقي الجزائري؛ ويغرق مجتمعها في ظلمات الجهل والاستعباد.

وقد اتسمت الحياة الاجتماعية في الوادي، بالبساطة في المعيشة فقد عُرف الفرد السوفي بتقشفه وحسن تصرفه، وتميزت العلاقات بين أفراد المجتمع بالمتانة سواء داخل

---

51- André Voisin, op. cit. p. 74.

52- الجباري عثماني، المرجع السابق، ص. 126.

53- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص ص. 180-181.

54- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ**...، مخ. ج. 2، ص. 52.

الأسرة أو خارجها لطبيعة النظام القبلي السائد في المنطقة، وهو ما نلاحظه في تموضع تلك العمائر والأفخاذ التي تنتمي للعرش داخل القصور والحومات والأحياء التي تشكل المكون العمراني للقرى والحواضر. وقد خرج من رحم تلك الحومات والنِّزلْ من حمل وتشرّب المعين الصافي زلالا، بعيدا عن الهرطقات والشطحات، ودافع عن هويته الإسلامية والعربية بغير هوادة، من خلال كراسي الوعظ ومنابر الجوامع وأعمدة الصحف.

## 6. قائمة المراجع


- إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ وسوف**، مخ. ج.1، لدينا نسخة منه.

- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية** 1837-1934، دار هومة، الجزائر 2005م.

- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج.2، دار المعرفة، الجزائر 2007م.

- إتوري روسي، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة** 1911م، تر. وتق. خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، (د. م. ط)، ط. 2، 1991م.

- الجباري عثماني، **المجتمع والإدارة المحلية في وادي سوف (دراسة وثقية)**، سامي للطباعة، الوادي 2022م.

- الحاج محمد بن الحاج الميلود بن خزان، **تاريخ أبناء سيدي علي بن خزان**، مخ. بحوزة كمال خزان، الدبيلة.

- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 19م**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 2001م.

- مبروك بن محمد الشامسي، **مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي**، تق. تع. علي غنابزية، مؤسسة إيموبال المطبعة العصرية، الوادي 2012م.

- محمد العدواني، **تاريخ العدواني**، تح. أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر 2011م.

- محمد بن عمارة، **العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية (وادي سوف نموذجا)**، مكتبة اقرأ، قسنطينة 2010م.

- محمد بوزرارة، **التخوم التونسية الليبية عبر التاريخ، نجع الذهبيات وجيرانه**، مطبعة سعيدان بسوسة، تونس 2014م.

- مصطفى عباس الموسوي، **العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية**، دار الرشيد للنشر والتوزيع، بغداد 1982م.

- معاذ عمراني، **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين** 19و20 **الميلاديين**،

رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، أفريل 2003.

- Ahmed Najah**, Le Souf des Oasis**, La maison des livres, Alger 1971.

- André Voisin, **Le Souf, Monographie**, EL-walid, EL-oued 2004..

- C. Cauvet, **Notes sur le Souf et les Souafa**, Bulletin de la société de géographie d'Alger, 1934.

- Henri Duveyrier, **Journal de Route, Sahara Algerinet et Tunisien**, Publié et Annote, CH. Maunoir et H. Shirmer, Librairie Maritime et Coloniale, Paris 1905.

- Lieutenant-Colonel Daumas**, Le Sahara algérien, Etudes Géographiques, Statistiques et Historiques**, Langlois et leclerco, Paris 1945.

- Louis Piesse, **Itinéraire de Lalgérie de la Tunisie et de Tanger**, Librairie Hachette, Paris 1882..

- Victor Largeau, **Le Sahara Algérien, les déserts de l'erg**, Librariie Hachette, Paris 1881.